

# جودت رستم حيدر «شكسبير العرب»



الشاعر جودت رستم حيدر

## بقلم ريمون قسيس

هذا الأسدي الجذور الرستمي الاب والحيدري الأصل، وجهه ما تغضن وجبينه ما تجعد، وعيناه مازالتا تشعان كلؤلؤتين وميضهما السحر والبهاء، يحمل التسعة والتسعين حولا من غير أن ينحني ظهره، كأنه الرمح الرديني القويم، الرشيقي، الرصيف، انه الشاعر الكبير جودت رستم حيدر، شكسبير العرب كما لقبه النقاد الغربيون.  
قال فيه صديقه الشاعر أديب فرحات:

شاعرُ الإلهام والفكر الذي      شق بالإشعاع ستر الغيب

من ينسج لنا عالما مميّزا تنداح فيه «أصداء» أورفيوس وبيروت وروما كيتس وجورج ميلر ورفيقة عمره الراحلة «مليحه» وابنه الراحل «بسام» رحمهما الله، وتسمع «أصوات» جبران وروبرت فروست وغاندي وبونبرت وأثار بعلبك، وتمتد «ظلال» مي زياده وخلييل مطران ولورد بايرون ومهجري لبنان.  
من يكون هكذا أفلا يقال فيه: إنه اللغز الغزل بلا زغل؟ تقراً في عينيه ما لا يقرأ الا فيهما. ولا غرابة في ذلك! فمن يخاطب من جديد جبران ونعيمه ونور سلمان وشيللي ولورد بايرون والحب والبحر والأمل الضائع والموسيقى التي قال فيه نيتشه: «إنها الهدى وبدونها تمسي الحياة في ضلال». ومن يكون الرجل الخرق كم السوبرمن او زرادشت أفلا يحس فيه القول: إنه صاحب العطاءات الكبار النوادر؟ قصائده كما اللؤلؤ في المحار، إن شئت أن تصطادها فعليك أن تغوص في الأعماق، فالبحر شاسع الأبعاد، عميق الأغوار. تتجاذبك أمواجه وتقذف بك الى البعيد البعيد حيث لا أمامك ولا وراءك إلا ستائر الغيب التي لا تهتك إلا لكبار الرأئين. رجل المئة الا واحدا أجالسه ولو على نذرة فإزداد حبا وشغفا، وأتنتصت اليه وهو يهمس او يتلمس كلماته بلطف وتودة فيعروني شعور بالكر على دعة، وأستشف من نظراته عبرات ومن شفثيه عبرا. يشدني اليه توقه الى الافضل والأرقى والى الأشمل والاعم.

بسمعني بعضا من كتاباته الشعرية الشكسبيرية الضبابية على شفثية او نتفا من مقطعاته النثرية العربية الرائعة وأنا وبعض الاصدقاء. و قد في مجلس أدب او في شبه ندوة او في لقاء حميمي ينضحنا فيه حب حيدري ولا أضفى ولا انقى.

هذا الكبير أسس «واحة الادب في البقاع» ولم يرض إلا أن يكون نائب الرئيس فيه، فحب الكبار دوما يؤم ودوما يزار. أسسها ورسم شعارها الضنان البقاعي المبدع فيروز شمعون وقد مضى على تأسيسها زهاء ثمانية أعوام وهي تضم شلة من أدباء وشعراء بقاعين من بينهم خمسة زحليين هم: الدكتور يوسف شريم، الدكتور جوزف خرقه، المحامي وجيه حداد وراسم الشعار وأنا.

وهنا أحسنى - والغبطة تملأ كياني - أنني كنت في نشوة يوم ضرب لرحلة مع بعلبك أحلى المواعيد وأصفاهها، حيث فاضت قرائح الشعراء الزحليين الافذاذ. فزيناوا جيدها بخرائدهم وقلاندهم من مثل سعيد عقل وخلييل فرحات والمعالضة وميشال طراد وأنيس خوري والياس حبشي كما توج هامتها ابنها الحيدري الرابض إزاءها أو ان تغنى بأثارها وهياكلها ومعابدها. والمقيم في دارته العامرة التي يؤمها كبار السياسيين والرسامين والمفكرين والادباء والشعراء الاتين من كل حدب وصوب، أذكر منهم - مع محبتي للاخرين - المفكر الدكتور شوقي خيرالله والشاعر الكبير شاعر هايدغر، وهولدرلن، و«علامات الزمن الأخير» الأستاذ فؤاد رفقته.

جودت حيدر حاورته زينب حمود اكثر من مرة عبر الصفحة الثقافية من هذه الجريدة الغراء، كما حاوره كثيرون وكرم أكثر من مرة وفي أكثر من مناسبة حتى بات على كل شفة ولسان.

شعره الانكليزي قليل على جودة، حتى ليخيل اليك أن هذا الشعر مداره الكون والوجود. وتروح تسأل عن ماهية هذا الوجود ومداد الكينوني. إنها الدزية في امتساق البراع، والورق يتلقف يقظات البصيرة بلهفة وحذر في أن. فالشاعر ضنين وحريص في اختيار الكلم حيث وسيلة التعبير تؤدي ما مؤداه دون أن يرغل إزار شعره او يذيله لئلا يقع في شطط او في كلام سابغ لا طائل تحته. انه الإيجاز المشبع المكتظ بالصور والافكار. بضع صفحات كأنها مجلدات. قصائده كقطرات ندى راغي الراعي او رباعيات الخيام او خماسيات سعيد عقل او هواجس جميل صدقي الزهاوي.

الاحتوائية عند متدثرة، بدثار غربي متأنق على رزانه، شفاف على متانة، والثقافية لا يمسيها حرون ولا نضور بل تراها تسلس على قياد لا انفلات فيه. وتعذب ويستحيل ابدال كلمة بأخرى، كأنما القصيدة منزلة من فوق يحملها الخيال او الايحاء الغائر الآتي من وراء الأسداف على سهيل حصان أبيض مذكي ذي غلبة او على سحائب نجس.

جودت حيدر الانيق الاللق. القدير الخبير الصانع في «أصدائه» و«أصواته» و«ظلاله» (١)، والمسترسل بلا حدود في نثرياته الفكرية العميقة كأنما لغته الأم، اللغة العربية العميقة البحور، الشاهقة الجبال والمنبسطة السهول أرفدته بكلمتها ومرادفاتها وأصدادها وهدته سواء السبيل.  
وأخيرا يطيب لي ان أختتم كلمتي بهذه لأبيات:

كبير أنت في دنيا الكبار  
بنو أسد (٢)، بنو أصفى نجار  
جدورك منهم سقت فروعا  
وباسقة العلى ورفقت بدار  
لتنجب شاعرا عظم اقتدارا  
وجودته غدت مجلى افتخار  
ورستم حيدر كبر اعزازا  
بمن كبرت به كُتب القفار  
كما كبرت بحار زاخرات  
وهام الغرب توج بالوقار

(١) - أصداء، أصوات وظلال ثلاثة دواوين شعرية باللغة الانكليزية للشاعر حيدر

(٢) - جد العائلة هو من بني أسد في العراق